



(١) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية

تأليف الأستاذ محمد عبد الله عنان

(٢) من حديث الشرق والغرب

تأليف الدكتور محمد عوض محمد

للاستاذ محمود الخفيف

مصر قبيل الفتح الفاطمي ، ثم بكلمة عن نشأة تلك الدولة في مهدها ، ودكر بعد ذلك فتح مصر وأورد طرقاً من سيرتي المعز والعزیز ، كل ذلك في إحكام المؤرخ المتمكن الذي يستطيع على رغم الإيجاز أن يمد السيل لموضوعه خير تمهيد . تناول الأستاذ بعد ذلك سيرة الحاكم ، وشرح في جزالة ووضوح خلاله وصفاته وما لجأ إليه من سفك الدماء وما أقام من مراسيم اجتماعية ودينية ، وما اكتف الدولة من الأحداث الخارجية ، ثم ما كان من أمر اختفائه ، ويعجبك منه في هذا القسم من كتابه مهارة مناقشته الروايات المختلفة ودقة التعليق عليها ، تبين ذلك في مثل شرحه لنسب الحاكم وأخته ست الملك ، ثم فيها أورد من روايات عن صفاته ومزاجه وأخيراً في حادث اختفائه .

على أن أهم الأشياء عندى في الكتاب وأولها بالدرس والاعتبار ، هو رأى الأستاذ المؤلف في الحاكم وصفاته ، وهو رأى لم يسبقه إليه غيره فيما أعرف ، فالاستاذ لا يرى في الحاكم ما اعتاد المؤرخون أن يروا فيه من رجل معتوه أخرق ، يبطش لمجرد البطش ، ويصدر من الأحكام الغريبة ما يدل على شذوذ وحق . بل إنه على العكس يراه مصلحاً من كبار المصلحين ، كانت أعماله التي اعتاد الناس استنكارها وسائله إلى ما يتوخى من إصلاح لا أكثر من ذلك ولا أقل : نعم كان الحاكم عنده ذهناً بعيد الغور ، وافر الابتكار ، وكان عقلية تسمو على مجتمعا وتقدم عصرها بمراحل ، وكان بالاختصار عبقرية يجب أن تنبأ في التاريخ مكانها الحق ، والاستاذ لا يرسل القول جزافاً ، وكيف يقع لمن كانت له مثل مائة حجة وحصافة رأيه أن يجازف برأى ؟ وإنما راح الأستاذ يدافع عن رأيه هذا دفاعاً قوياً بهرك ويستميلك . أليس القتل والطغيان هما من أقوى وسائل الديكتاتوريات الحديثة في إقامة نظمها ؟ ثم أليست سياسة الحاكم هي السياسة الميكانيكية التي قد يلجأ إليها كثير من الحكومات في شتى

هما كتابان ، أشعر بكثير من الغبطة إذ أقدمهما للقراء على صفحات الرسالة ، ذلك لأنى أرى في كليهما مظهر آ من مظاهر الحركة الفكرية الحديثة في مصر ، جديراً بالاعتبار والعناية . أما أولها فأثر جديد من آثار الأستاذ عنان ، والأستاذ عنان كما أعتقد ، قد أصبح بآثاره وبحوثه ناحية مستقلة في نهضة التأليف المعاصرة ، ذلك أن آثاره تمتاز جميعاً بما تمتاز به الآثار العلمية القيمة ، من دقة البحث ، مع استقامة النهج ووضوح الغاية ، وقوة الأسلوب ؛ هذا إلى أصالة وسلامة منطق وبسطة في العلم ، تظهر كلها واضحة في تمحيص الروايات المختلفة فيما يعرض الأستاذ من حوادث وفيما يسرد من وجوه الرأى .

عرفنا له تلك الخلال فيما سلف من آثاره ، وإنا لنراها اليوم على خير ما يرجى من كتابه هذا ، فهو يدور حول موضوع كان ولا زال مثار الجدل الشديد ومبعث التناقض والاضطراب ؛ ومن ثم فهو موضوع تظهر فيه مدى قوة المؤلف ونشاط ذهنه ، وحسبك الحاكم بأمر الله وحوادث عصره ، وما اكتف شخصه من غموض وخفاء .

على أن الكتاب لا يدور كله على الحاكم ، بل إن نصيب الحاكم منه لا يزيد على نصفه بكثير . ولقد أحسن الأستاذ صنعا ، إذ جعل بقية الكتاب لدراسة أسرار الدعوة الفاطمية وخواص العصر الفاطمي ، هذا إلى ما أوردته الاستاذ في نهاية كتابه من الوثائق والسجلات الفاطمية .

مهد الأستاذ عنان لبحثه بمقدمة موجزة متينة عن حال

الظروف؟ أليس الحد من حرية النساء مما تلجأ إليه اليوم المانيا النازية وإيطاليا الفاشستية من وسائل محاربة الخلاعة والفجور اللذين يؤديان إلى انحلال المجتمع؟ إلى غير ذلك من حجج الاستاذ وآرائه النيرة الطريفة التي تشوقك وتذكرك. والاستاذ لا يبرر بها مسلك الحاكم كما استدرك، ولكنه يدفع بها ما اتهم به. يد أنى وإن أعجبتى تلك الآراء واستماتنى في كثير من المواقف، قد أحسست شيئاً من الصعوبة في أن أحمل نفسى على الأخذ ببعضها. نعم رأيت مشقة في أن أنقذ الشذوذ بل الجنون عن شخص يحرم الجرجير لأنه ينسب إلى السيدة عائشة، والملوخية من أجل معاوية، والمتوكلية من أجل الخليفة المتوكل العباسي؟ وكيف أسبغ تشجيعه الدعوة الإلحادية؟ وعلى أى أساس من العقل أحمل قتله قائده الفضل بعد أن هزم أباركوة الذى احتل مصر؟ بل كيف يجوز في عقل خروجه ليلاً إلى الجبل على ظهر حماره في غير قوة تحميه على الرغم مما كان يضطرم به المجتمع يومئذ من الرغبة في الانتفاض عليه والتخلص من طغيانه.

على أن الاستاذ يصرح في نزاهة المؤرخ وإنصافه، أنه ليس يدعى أنه يستطيع أن يعلل كل قوانين الحاكم وإجراءاته وتصرفاته أو أن ينفذ إلى بواعثها وحكمتها جميعاً، فهناك كثير منها مما لا يستطيع فهمه وتعليله.

وقصارى في هذا المجال الضيق أن أعلن إعجابى بهذا الكتاب، وأن أنوه بما أفدته من دراسة أسرار الدعوة الفاطمية ونواحي العصر الفاطمي، ذلك العصر الفذ الذى تجدد من آثاره الأزهر المعمور - دراسة لم أظفر بمثلها فيما كتب حديثاً عن الدولة الفاطمية. وكما كان عظيماً من الاستاذ عنان ذلك الجهد المرير الذى تستينه فيما يشير إليه من مراجع مكتوبة وخطية ليس ثمة من يستوعبها إلا من كان له مثل جلده ودأبه وإخلاصه. ولا عجب أن جاء كتابه مظهرًا من مظاهر الجهد والقوة في نهضتنا الأدبية، وهو مطبوع طبعاً جميلاً في دار النشر الحديث ويقع في مائتين وست وسبعين صفحة من القطع الكبير، بآخره ثبت حافل للمصادر، وفهرس أبجدي عام

- ٢ -

بأنى بعد ذلك الكتاب الثانى من حديث الشرق والغرب،

للدكتور عوض، وأحب أن أخطئ الكتاب إلى صاحبه برهة فأعرض عليك طرفاً من خلاله، لا أرى مندوحة عن عرضه في مثل ذلك المقام. الدكتور المؤلف بماله من مكانة في حياتنا الأدبية غنى عن التعريف، ولكنى أذكر لمن لم يعرفه إلا في آثاره أن من أبرز صفاته الذكاء الحاد وعذوبة الروح ومحبة الأدب حباً صادقاً، حتى لو أنه حاول بكل ما في وسعه أن يهجر الأدب لما استطاع ذلك المهجران؛ يحدث ماهر طلى الحديث، يميل إلى الفكاهة ولكنها الفكاهة التى يتخللها الجد المرير في غالب المواقف؛ يحب قومه وبلاده حباً مؤكداً؛ مثقف من الطراز الأول في الأدب العربى والغرب.

ذكرت من خلاله ما ذكرت لأمر يعينى الساعة، ذلك أن كتابه الذى أقدمه لك صورة صادقة من شخصه، وذلك لعمري خير ما يوصف به كتاب لصاحبه مثل هاتيك الخلال. ولا جرم أن الصدق في الآثار الأدبية أكبر عامل في نفاذها إلى القلوب ودوامها على الأيام، وإنك لتجد الصدق في هذا الكتاب في مقدمة فضائله.

وبعد فما موضوع هذا الكتاب؟ أهو سلسلة مقالات في شتى الفنون؟ كلا فلست تجد فيه ما تجد غالباً في المقالات من غلظة وثقل يتقاضيانك كد ذهنك والتعامل على نفسك. إذا فهل هو قصة أو مجموعة من الأقاصيص؟ كلا ليس هو من ذلك الفن من فنون الأدب وإن كنت تحس روح القصة وتمثل شبحها في كثير من مواضعه. ليس الكتاب من أدب المقالة وإن كان موضوعات متفرقة، ولا هو من القصة وإن كان للكثير من موضوعاته شبحها، وإنما هو حديث، نعم هو أساطير وخاطرات خطرت ملكت على الفكر سبله فلم يستطع تشريدتها أو الفرار منها.

ينتظم هذا الكتاب ما جاشت به نفس صاحبه من معانٍ وخطرات، فإذا عدت إلى ما سردت عليك من خلاله، أمكنت أن تدرك موضوع الكتاب جملة وتلمح شيئاً من روحه.

ذكر في هذا الكتاب الطريف الفذ، بآثار الأدبيين الانجليزيين الكبارين «اديسون»، وصاحبه «ستيل». عمد هذان الكاتبان في كثير مما كتبنا في مستهل القرن الثامن عشر إلى نقد بعض أحوال المجتمع ودراسة بعض الأشخاص، بطريقة لطيفة هادئة، لا ترى فيها أثراً للهجوم اللاذع ولا التعرّيج القاسى